The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
John 13:1–17	إنجيل يوحنَّا 13: 1–17
wt_us03_0257_c25	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 143
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]

(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم" حَيْثُ سَنُصْغي إلى تَفْسيرٍ لآياتٍ مِنْ إنْجيل يُوحَنَّا على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

[المُقَدِّمة]

(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

هَلْ تَدْري، صَديقي المُسْتَمِع، مِقْدارَ مَحَبَّةِ الربِّ يَسوعَ لَكَ؟ إنَّهُ يُحِبُّكَ إلى المُنْتَهى. أجَلْ! فَهُوَ يُحِبُّكَ مَحَبَّةً فَائِقَةً حَتَّى إنَّهُ بَذَلَ نَفْسَهُ لأجْلِك!

(مُقَدِّم البَرنامَج)

نَحْنُ نَعيشُ في عَالَمٍ يَتَّسِمُ بالعَلاقاتِ القَصيرَةِ المَدى وَالمُجامَلاتِ بَيْنَ النَّاس. وَبِسَبَبِ ذَلِكَ، فَإنَّنا نَنْسى في كَثيرٍ مِنَ الأحيانِ أنَّ يَسوعَ المَسيحَ قَدْ بَذَلَ نَفْسَهُ لأجْلِنا وَماتَ عَنَّا. لَكِنَّ الربَّ يَسوعَ المَسيحَ وَعَدَ كُلَّ مَنْ يَقْبَلُهُ رَبًّا وَمُخَلِّصًا لِحَياتِهِ بأنْ تَكونَ لَهُ الحَياةُ الأبديَّة. وَلَكِنَّهُ حَذَّرَ جَميعَ مَنْ يَرْفُضونَهُ بالعَذابِ الأبديِّ. وَفي هَذِهِ الحَلْقَةِ مِنَ "الكَلِمَة لِهَذا اليوم" سَوْفَ يُتابِعُ الرَّاعي "تشك سميث" تَفْسيرَهُ لإنْجيلِ البَشيرِ يُوحَنَّا مُرَكِّزًا على بَعْضِ مَا قَامَ بِهِ السيِّدُ المَسيحُ أثناءَ حَياتِهِ على الأرْضِ لإظْهارِ مَحَبَّتِهِ لَنا!

والآنْ، أتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَع دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ إنجيلِ يُوحَنَّا بَدْءًا بالأصْحاحِ الثَّالِث عَشَر وَالعَدَدِ الأوَّل؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]

(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

بِهَذا، نَكونُ قَدْ وَصَلْنا، صَديقي المُسْتَمِع، إلى مَقْطَعٍ جَديدٍ مِنْ إنجيلِ يُوحَنَّا يَبْدَأُ بالأصْحاحِ الثَّالِثِ عَشَر وَيَنْتَهي بِنِهايَةِ الأصْحاحِ السَّابِع عَشَر. وَهَذِهِ الأصْحاحاتُ الخَمْسَةُ تُغطّي فَتْرَةً زَمنيَّةً تَمْتَدُّ مِنْ أرْبَعٍ وَعِشْرينَ سَاعَة إلى سِتٍّ وَثَلاثينَ سَاعَة. وَقَدْ كانَتْ هَذِهِ هِيَ بِدايَةُ اللَّيلةِ التي تَعَرَّضَ فيها يَسوعُ إلى الخِيانَة. وَتأتي صَلاتُهُ الواردَةُ في الأصْحاحِ السَّابِع عَشَر مِنْ إنْجيل يُوحَنَّا قَبْلَ الأحْداثِ التي وَقَعَتْ في بُسْتانِ جَثْسَيْماني بَعْدَ نَحوِ أرْبَعٍ وَعِشْرينَ (إلى سِتٍّ وَثَلاثينَ) سَاعَة. وَمَعَ أنَّ هَذِهِ الأصْحاحاتِ تُغَطّي فَتْرَةً قَصيرَةً جِدًّا مِنْ حَياةِ يَسوعَ، فإنَّها فَتْرَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا حَتَّى إنَّ البَشيرَ يُوحَنَّا فَرَدَ لَها رُبْعَ إنْجيلِهِ تَقْريبًا.

إذًا، يُمْكِنُنا أنْ نُدْرِكَ أهميَّة هَذِهِ الفَتْرَةِ مِنْ حَياةِ يَسوعَ مِنْ خِلالِ الاهْتِمامِ البَالِغِ الذي أوْلاهُ البَشيرُ يُوحَنَّا لَها. فَكَما ذَكَرْنا للتَّوِّ، فَقَدْ فَرَدَ البَشيرُ يُوحَنَّا رُبْعَ إنْجيلِهِ تَقريبًا للحَديثِ عَنْ هَذِهِ الفَتْرَةِ المُهِمَّة! لِذَلِكَ، نَفْعَلُ حَسَنًا إنْ دَقَّقْنا النَّظَرَ وتأمَّلْنا جَيِّدًا في الأمورِ المُدَوَّنَةِ هُنا لا سِيَّما أنَّها تَكْشِفُ لَنا أعْماقَ قَلْبِ الربِّ يَسوعَ المَسيح!

وَالآنْ، نَقْرَأُ في إنْجيل يُوحَنَّا 13: 1:

أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى.

أجَلْ يا صَديقي، فَقَدْ أحَبَّ يَسوعُ خَاصَّتَهُ إلى المُنْتَهى؛ إيْ إلى الكَمال، وَإلى النِّهايَةِ، وَإلى الوَقْتِ الذي سَيُكَمِّلُ فيهِ فِداءَهُم. وَكَما سَنَقْرَأُ لاحِقًا (وَتَحْديدًا في العَدَد 15: 13)، فَقَدْ قالَ يَسوعُ: **"لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ"**. فَهَذا هُوَ أسْمى صُوَرِ الحُبِّ. وَما أرْوَعَ أنْ نَعْلَمَ أنَّنا مِنْ خَاصَّةِ الربِّ يَسوع! لِذَلِكَ، هَلْ نُدْرِكُ، عَزيزي المُسْتَمِع، مِقْدارَ مَحَبَّةِ الربِّ يَسوعَ لَكَ؟ إنَّهُ يُحِبُّكَ إلى المُنْتَهى! أجَلْ، إنَّهُ يُحِبُّكَ إلى اللَّحْظَةِ الأخيرَةِ مِنْ فِدائِكَ. وَهُوَ يُحِبُّكَ إلى أبَدِ الآبِدين!

وَيُخْبِرُنا البَشيرُ يُوحَنَّا أنَّ الأحْداثَ التي سنَقْرَأُ عَنْها الآنَ وَقَعَتْ قَبْلَ عِيْدِ الفِصْحِ مُباشَرَةً. فَقَدْ كَانَ الربُّ يَسوعُ يَعْلَمُ أنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذا العَالَمِ إلى الآبِ. وَكَما تَذْكُرُ، صَديقي المُسْتَمِع، فَقَدْ قَالَ يَسوعُ مَرَّاتٍ عَديدَةٍ في إنْجيلِ يُوحَنَّا إنَّ ساعَتَهُ لَمْ تَأتِ بَعْد. فَعِنْدَما حَاوَلَ الجَمْعُ أنْ يُتَوِّجَ يَسوعَ مَلِكًا، اخْتَفى عَنْ أعْيُنِهِمْ لأنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ حَانَتْ بَعْد. وَالمَقْصودُ بِـ "ساعَتِهِ" هُوَ الوَقْتُ الذي كانَ مُزْمِعًا فيهِ أنْ يُضَحِّي بِنَفْسِهِ لأجْلِ فِدائِنا. فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ هِيَ السَّاعَةُ التي سَيَتَمَجَّدُ فيها. فَقَدْ تَمَجَّدَ يَسوعُ مِنْ خِلالِ خُضوعِهِ للهِ الآبِ؛ أيْ مِنْ خِلالِ ذَهابِهِ طَوْعًا إلى الصَّليبِ، وَمِنْ خِلالِ مَوْتِهِ طَوْعًا عَنْ خَطايانا. ثُمَّ نَقْرَأُ في إنْجيل يُوحَنَّا 13: 2 4:

فَحِينَ كَانَ الْعَشَاءُ، وَقَدْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يُسَلِّمَهُ، يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا،

بَعْدَ أن انْتَهى يَسوعُ مِنْ تَناوُلِ عَشاءِ الفِصْحِ مَعَ تَلاميذِهِ، دَخَلَ الشَّيْطانُ قَلْبَ يَهوذا الإسْخَرْيوطِيَّ. وَلأنَّ يَسوعَ كَانَ يَعْلَمُ أنَّ هَذا العَشاءَ هُوَ العَشاءُ الأخيرُ الذي سَيَتناوَلُهُ مَعَ تلاميذِهِ، فَقَدْ أخَذَ مِنْشَفَةً وَلَفَّها على وَسَطِهِ. ولا شَكَّ أنَّ التَّلاميذَ لَمْ يَفْهَموا مَا يَقومُ بِهِ يَسوعُ! وَلا شَكَّ أنَّهُمْ رَاحُوا يَتَساءَلونَ عَنِ السَّبَبِ الذي جَعَلَهُ يَتَّزِرُ بالمِنْشَفَةِ لأنَّ هَذا هُوَ مَا كَانَ العَبْدُ يَفْعَلُهُ عِنْدَ غَسْلِ أرْجُلِ ضُيوفِ سَيِّدِه. ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَدَيْن 5 و 6:

ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا. فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!»

كَانَتِ الصَّدْمَةُ شَديدَةً على بُطْرُسَ حَتَّى إنَّهُ قَالَ لِيَسوعَ رافِضًا: **"يا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!"** فَقَدْ أدْرَكَ بُطْرُسُ أنَّهُ مِنْ غَيْرِ اللَّائِقِ أو الجَائِزِ أنْ يَغْسِلَ الربُّ رَجْلَيْهِ! وَقَدْ كَانَ هَذا شَبيهًا بِرَدِّ فِعْلِ يُوحَنَّا المَعْمَدان عِنْدَما جَاءَ يَسوعُ إليهِ لِيَعْتَمِدَ على يَدَيْهِ. فَنَحْنُ نَقرَأُ في إنْجيلِ مَتَّى 3: 13 15: **"حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِـي إِلَيَّ!» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ"**. ونَجِدُ هُنا أيْضًا أنَّ بُطْرُسَ رَفَضَ فِكْرَةَ أنْ يَغْسِلَ السيِّدُ المَسيحُ رِجْلَيْهِ. لِذَلِكَ، فَقَدْ قالَ لَهُ بِنَبْرَةٍ تَدُلُّ على رَفْضِهِ الفِكْرَةَ جُمْلَةً وتَفْصيلًا: **"يا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!"** بِعِبارَةٍ أُخرى: "لا يُمْكِنُ أنْ أسْمَحَ بِأمْرٍ كَهَذا!" لكِنَّنا نَقرَأُ في العَدَدِ السَّابِعِ أنَّ يَسوعَ أجابَهُ قَائِلًا:

«لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ».

فَقَدْ كَانَ الربُّ يَسوعُ يَعْلَمُ أنَّ الأمْرَ لَنْ يَكونَ سَهْلًا أوْ مَفْهومًا الآن. لكِنَّهُ سَيَكونُ مَفْهومًا بَعْدَ قَليل! ثُمَّ نَقرَأُ في العَدَدَيْن 8 و 9:

قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ». قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي».

وَهَذا يُرينا أنَّ بُطْرُسَ لَمْ يَفْهَمِ المَعْنى الرُّوحِيَّ العَميقَ لِما يَجْري. لِذَلِكَ، فَقَدْ أصَرَّ على عَدَمِ السَّماحِ للربِّ يَسوعَ بِأنْ يَغْسِلَ رِجْلَيْهِ. لكِنْ عِنْدَما قالَ لَهُ يَسوعُ إنَّهُ إنْ لَمْ يَغْسِلْ رِجْلَيْهِ فَلَنْ يَكونَ لَهُ نَصيبٌ مَعَهُ، سَارَعَ بُطْرُسُ إلى القَوْل: **"يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي"**. وَهَذا يُرينا أيْضًا تَحَوُّلَ بُطْرُسَ مِنَ النَّقيضِ إلى النَّقيض. فَقَدْ كَانَتْ رَدَّةُ فِعْلِهِ الأُولى هِيَ: "لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أبَدًا". وبَعْدَ لَحَظاتٍ، نَسْمَعُهُ يَقولُ: **"يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي!"** حينئذٍ، قَالَ لَهُ يَسوعُ (في العَدَدِ العَاشِر):

«الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ».

وَيَجْدُرُ بِنا أنْ نَعْلَمَ أنَّ غَسْلَ الأرْجُلِ كانَ عادَةً شَائعةً في الحَمَّاماتِ الرُّومانِيَّةِ العُمومِيَّة وَعِنْدَ اليَهودِ أيْضًا. فَبَعْدَ الانْتِهاءِ مِنَ الحَمَّامِ وَالخُروجِ إلى غُرَفِ تَبْديلِ المَلابِس، كَانَ التُّرابُ يَلْتَصِقُ بأرْجُلُ المُسْتَحِمِّينَ. ولأنَّهُمْ كَانُوا قَدِ اسْتَحَمُّوا للتوِّ، لَمْ تَكُنْ هُناكَ حَاجَةٌ إلى الاغْتِسالِ مِنْ جَديد، بَلْ كَانُوا يَغْسِلونَ أرْجُلَهُمْ فَحَسْب. وَعِنْدَما كَانَ النَّاسُ يَذْهَبونَ إلى وَليمَةٍ كَانَ المُضيفُ يَأمُرُ أحَدَ عَبيدِهِ بالوُقوفِ بالبابِ وَغَسْلِ أرْجُلِ المَدْعُوِّينَ عِنْدَ وُصولِهِمْ.

وَفي إنْجيل يُوحَنَّا 13: 10، يَقولُ يَسوعُ لِبُطْرُس: **"الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ"**. وَقَدْ قَصَدَ أَنْ يَقولَ إنَّهُ أثناءَ سَيْرِنا في هَذا العَالَمِ، سَوْفَ تَعْلَقُ بَعْضُ الأَوْساخِ وَالقاذوراتِ بأرْجُلِنا بِسَبَبِ احْتِكاكِنا بالعالَمِ. لَكِنَّ هَذا التَّلَوُّثَ يَبْقى سَطْحِيًّا إنْ لَمْ يُؤثِّر في أذْهانِنا وَقُلوبِنا. وَفي حَالَةٍ كَهَذِهِ، فَإنَّ أرْجُلَنا هِيَ التي تَتَّسِخُ فَقَطْ، وَهِيَ التي تَحْتاجُ إلى الغَسْلِ فَقَط. فَما دامَ القَلْبُ طاهِرًا، وَالعَقْلُ لَمْ يَتَلَوَّثْ بِمُلَوِّثاتِ هَذا العَالَمِ، فَلا حَاجَةَ لَنا إلَّا إلى غَسْلِ أرْجُلِنا مِنَ التُّرابِ الذي عَلِقَ بِها.

وَهَذا هُوَ مَا نَفْعَلُهُ عَادَةً عِنْدَما نَقْرَأُ كَلِمَةَ اللهِ وَنَسْمَحُ لَها بالتَّغَلْغُلِ في نُفوسِنا وَقُلوبِنا. كَما أنَّ هَذا هُوَ مَا يَحْدُثُ عِنْدَما نَسْمَحُ لِكَلِمَةِ اللهِ بِتَبْكيتِنا وَإعادَتِنا إلى أعْماقِ الشَّرِكَةِ الحُلْوَةِ مَعَ الربِّ. وَهَذا هُوَ مَا يَحْدُثُ أيْضًا عِنْدَما نَذْهَبُ إلى الكَنيسَةِ وَنَسْمَعُ كَلِمَةَ اللهِ الحَيَّةِ. فَبِسَبَبِ اخْتِلاطِنا واحْتِكاكِنا بَالعالَمِ طَوالَ الأسْبوعِ، مِنَ المُؤكَّدِ أنْ بَعْضَ الكَلِماتِ وَالمَشاهِدِ قَدْ عَلِقَتْ فِيْنا سَطْحِيًّا. فَإنْ كُنَّا قَدِ اغْتَسَلْنا بِدَمِ المَسيحِ واعْتَمَدْنا لاسْمِهِ، فَلا حَاجَةَ لَنا للاغْتِسالِ مَرَّةً أُخرى، بَلْ يَكْفي أنْ نَسْمَحَ لِكَلِمَةِ اللهِ بِتَطْهيرِنا.

بِعِبارَةٍ أُخرى، فَقَدْ قالَ يَسوعُ لِبُطْرُس إنَّهُ لا حَاجَةَ لَكُمْ للتَّطهيرِ الجَسَدِيِّ الآن لأنَّكُمْ قَدْ تَطَهَّرْتُم: **"الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ"**. لَكِنْ لِماذا قَالَ يَسوعُ: "أنْتُمْ طاهِرونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّكُم"؟ نَجِدُ الجَوابَ عَنْ هَذا السُّؤالِ في العَدَد 11 إذْ نَقْرَأُ:

لأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ، لِذلِكَ قَالَ: «لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ».

فَقَدْ كَانَ الربُّ يَسوعُ العَالِمُ بِكُلِّ شَيءٍ يَعْلَمُ أنَّ يَهوذا سَيُقْدِمُ على خِيانَتِهِ. لِذَلِكَ، فَقَدْ مَيَّزَهُ عَنِ التَّلاميذِ الآخَرينَ كَشَخْصٍ لَمْ يَخْتَبِر الفِداءَ قَطّ!

ثُمَّ نَقْرَأُ في إنْجيل يُوحَنَّا 13: 12 و 13:

فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيْضًا، قَالَ لَهُمْ: «أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لأَنِّي أَنَا كَذلِكَ.

بَعْدَ أن انْتَهى يَسوعُ مِنْ غَسْلِ أرْجُلِ تَلاميذِهِ، أخَذَ ثِيابَهُ وَاتَّكَأ، وَسَألَهُمْ إنْ كَانُوا قَدْ فَهموا مَا صَنَعَهُ بِهم! وَقَدْ أكَّدَ لَهُمْ أنَّهُ يَسْتَحِقُّ لَقَبَ "مُعَلِّم" و "سَيِّد" لأنَّهُ هُوَ كَذلِك.

وَيُتابِعُ يَسوعُ كَلامَهُ قَائِلًا في الأعداد 14 17:

فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، لأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالاً، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ

أَيْضًا. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ.

لِذَا، لا تَتَعَجَّبْ، صَديقي المُسْتَمِع، إنْ رَأيْتَ إحْدى الكَنائِس تُمارِسُ غَسْلَ الأرْجُل. فَهُناكَ بَعْضُ الكَنائِس في بُلْدانٍ عَديدَةٍ تُمارِسُ غَسْلَ الأرْجُلِ اقْتِداءً بالسيِّدِ المَسيحِ الذي أظْهَرَ تَواضُعًا عَظيمًا وَفَريدًا عِنْدَما غَسَلَ أرْجُلَ تَلاميذِهِ. وَقَدْ بَيَّنَ يَسوعُ لِتلاميذِهِ أنَّ الغَايَةَ مِنْ غَسْلُ الأرْجُلِ هُوَ أنْ يَخْدِمَ بَعْضُنا بَعْضًا.

وَمِنَ الواضِحِ أنَّ عَادَةَ غَسْلِ الأرْجُلِ كَانَتْ شائِعَةً في تِلْكَ الأيَّامِ بِسَبَبِ حَالِ الطُّرُقِ التُّرابِيَّةِ، وَوُجودِ الحَمَّاماتِ العُموميَّةِ، وَارْتِداءِ الأحْذِيَةِ المَفْتوحَةِ، وَوُجودِ العَبيدِ. وَإنْ كُنَّا نَعيشُ الآنَ في زَمَنٍ مُخْتَلِفٍ وَثَقافَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَإنَّ هَذا لا يَعني البَتَّةَ أنَّنا لَسْنا مُطالَبينَ بأنْ يَخْدِمَ بَعْضُنا بَعْضًا. لِذَلِكَ، يَجِبُ عَلَيْنا دَوْمًا أنْ نَعْثُرَ على طَرائِقَ فَعالَةٍ نَخْدِمُ مِنْ خِلالِها الآخَرينَ كُلٌّ حَسَبَ بيئَتِهِ وَثَقافَتِهِ. فَيَسوعُ يُعَلِّمُنا هُنا أنَّهُ لَيْسَ هُناكَ عَمَلٌ وَضيعٌ إنْ كُنَّا نَقومُ بِهِ خِدْمَةً للآخَرين. وَلِكَيْ يُرينا المَعْنى الحَقيقيَّ للخِدْمَةِ وَيَكونَ قُدْوَةً لَنا في كُلِّ شَيءٍ، فَقَدْ غَسَلَ أرْجُلَ تَلاميذِهِ.

وَبِهَذا، فَهُوَ يَقولُ لَكَ، وَلي، وَلِكُلِّ مُؤمِنٍ مَسيحيٍّ حَقيقيٍّ: "كُنْ خَادِمًا لِغَيْرِكَ! لا تَتَوَقَّع مِنَ الآخَرينَ أنْ يَخْدِموكَ، بَلْ بَادِرْ أنْتَ إلى خِدْمَتِهِم. ابْحَثْ عَنْ شَيءٍ وَضيعٍ يَتَهَرَّبُ الجَميعُ مِنَ القِيامِ بِهِ، وافْعَلْهُ أنْتَ بِتَواضُعٍ وَبِروحِ الخِدْمَةِ المُضَحِّيَةِ! فَإنْ كُنْتُ أنا المُعَلِّمُ وَالسيِّدُ قَدْ غَسَلْتُ أرْجُلَ تَلاميذي، فَإنِّي أُوْصيكَ بِالتمثُّلِ بي!"

وَعِنْدَما غَسَلَ يَسوعُ أرْجُلَ تَلاميذِهِ وَأوْصاهُمْ أنْ يَقْتَدوا بِهِ، كَانَ يَعْلَمُ أنَّهُمْ سَيَصيرونَ قَريبًا جِدًّا أوَّلَ خُدَّامٍ في الكَنيسَةِ الأولى. وَالخَادِمُ الحَقيقيُّ لا يَسْعى إلى تَمْجيدِ ذاتِهِ، وَلا يَبْحَثُ عَنْ أُناسٍ يَخْدِمونَهُ هُوَ! بَلْ هُوَ بالحَريِّ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يَلْزَمُ لِخِدْمَةِ رَعِيَّتِهِ وَالتَّضْحِيَةِ لأجْلِها. فَكَما أنَّ العَبْدَ لا يَبْحَثُ عَنْ راحَتِهِ الشخصيَّةِ، بَلْ عَنْ رَاحَةِ سَيِّدِهِ؛ فَإنَّ المُؤمِنَ المَسيحيَّ (وَالخَادِمَ المَسيحيَّ) لا يَبْحَثُ عَنْ رَاحَتِهِ الشخصيَّةِ، وَلا عَنْ مَنْ يَخْدِمونَهُ، بَلْ هُوَ يَقْتَدي بِسَيِّدِهِ الحَبيبِ الذي لَمْ يَتَرَدَّدْ لَحْظَةً وَاحِدَةً في غِسْلِ أرْجُلِ تَلاميذِهِ لِكَيْ يَكونَ قُدْوَةً لَنا في الخِدْمَةِ البَاذِلَةِ المُضَحِّيَةِ المُتَواضِعَةِ! لِذَلِكَ، لِيَكُنِ اللهُ في عَوْنِنا جَميعًا! فَنَحْنُ في حَاجَةٍ مَاسَّةٍ دَوْمًا إلى خُدَّامٍ لِلكَنيسَةِ يَقْتَدونَ بِسَيِّدِهِمْ يَسوعَ المَسيح. وَنَحْنُ في حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إلى خُدَّامٍ مُتَواضِعينَ وَمُسْتَعِدِّينَ لِلقيامِ بِالمَهامِّ وَالوَاجِباتِ التي يَتَهَرَّبُ مِنْها الجَميع!

وَقَدْ قالَ السيِّدُ المَسيحُ لِتلاميذِهِ: **"إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ"**. وَكَما ذَكَرْنا سابِقًا، فَإنَّ الكَلِمَة "طُوبى" تَعْني: "يا لِغِبْطَةِ!" أوْ "يا لِسَعادَةِ!" لِذا، فَهُوَ يَقولُ هُنا: "يا لِسَعادَةِ المُؤمِنِ الذي يَتَمَثَّلُ بي في خِدْمَتِهِ للآخَرين!" وَنُلاحِظُ هُنا أنَّ يَسوعَ لَمْ يَقُلْ: "طُوبَاكُمْ إنْ عَرَفْتُمْ هَذا!" بَلْ هُوَ يَقولُ: "طُوبَاكُمْ إنْ عَمِلْتُموه!" وَهَذا يُذَكِّرُنا بِما قالَهُ يَعْقوبُ في رِسالَتِهِ إذْ نَقْرَأُ في العَدَد 1: 22: **"كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ"**. وفي الحَقيقَةِ أنَّ الفَرَحَ النَّاجِمَ عَنْ خِدْمَةِ الآخَرينَ هُوَ فَرَحٌ عَظيمٌ تَعْجَزُ الكَلِماتُ عَنْ وَصْفِهِ!

وَمِنَ المُؤسِفِ حَقًّا أنَّ مُؤمِنينَ كَثيرينَ لا يَجِدونَ فَرَحًا في العَطاءِ وَالخِدْمَةِ. فَهُمْ يَتَذَمَّرونَ دَوْمًا مِنَ الأعْمالِ التي يَقومونَ بِها لا سِيَّما إنْ كانَتْ مُتواضِعَةً أوْ بَعيدَةً عَنِ الأضْواءِ. لَكِنَّ الربَّ يَسوعَ لا يُريدُنا أنْ نَخْدِمَ بِهَذِهِ الطَّريقَةِ وَلا بِهَذِهِ الرُّوحِ؛ بَلْ يُريدُنا أنْ نَفْعَلَ كُلَّ شَيءٍ بِلا دَمْدَمَةٍ، وَبِلا تَذَمُّرٍ. فالخِدْمَةُ الحَقيقِيَّةُ عَطاءٌ. وَالكِتابُ المُقَدَّسُ يُعَلِّمُنا أنَّ العَطاءَ لَيْسَ في المَالِ فَحَسْب، بَلْ في أيِّ مَجالٍ مِنَ المَجالاتِ مَغْبوطٌ أكْثَرَ مِنَ الأخْذِ. وَهُوَ يُعَلِّمُنا أيْضًا أنَّ المُعْطي المَسْرورُ يُحِبُّهُ اللهُ.

في ضَوْءِ ذَلِكَ، يَنْبَغي لَنا أنْ نُصَدِّقَ كَلامَ الربِّ يَسوعَ عِنْدَما قَالَ: **"إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ"**. وَفي الحَقيقَةِ أنَّ هَذا يُذَكِّرَنا بِكَلِماتٍ أُخرى نَطَقَ بِها الربُّ يَسوعُ في إنْجيلِ مَتَّى 25: 40 إذْ قَالَ: **"الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِــي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ"**.

أجَلْ يا صَديقي! فَكُلُّ مَا نَفْعَلُهُ لأجْلِ المُؤمِنينَ الآخَرينَ نَفْعَلُهُ بيسوعَ المَسيح. وَكُلُّ مَا نُقَدِّمُهُ للآخَرينَ مِنْ خِدْمَةٍ وَعَطاءٍ وَتَضْحِيَةٍ إنَّما نُقَدِّمُهُ كَعبيدٌ بَطَّالونَ لِمَلِكِ المُلوكِ وَرَبِّ الأرْباب! لِذا، لَيْتَ الربُّ يُعْطينا أنْ نَكونَ خُدَّامًا لا لِمَجْدِ أنْفُسِنا، بَلْ لِمَجْدِ ذاكَ الذي أخْرَجَنا مِنَ الظُّلْمَةِ إلى النُّورِ وَأعْطانا حَياةً أبديَّةً! آمين!

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

هُناكَ أوقاتٌ كَثيرَةٌ في حَياتِنا سَنَتَلَقَّى فيها دَعْوَةً لِلقِيامِ بِعَمَلٍ لا نَشْعُرُ بأنَّنا أكْفاءَ لَهُ. وَهُناكَ أوْقاتٌ قَدْ نُقْدِمُ فيها على القِيامِ بأعْمالٍ لا نَرْغَبُ مِنْ كُلِّ قُلوبِنا بالقِيامِ بِها. لَكِنْ كَما بَيَّنَ لَنا الرَّاعي "تشك سميث" اليومَ، فَإنَّ مَا فَعَلَهُ الربُّ يَسوعُ عِنْدَما غَسَلَ أرْجُلَ تَلاميذِهِ يُؤكِّدُ لَنا أنَّ دَعْوَةَ المَسيحِ لِحَياتِنا هِيَ دَعْوَةٌ إلى خِدْمَةِ الآخَرينَ مِنْ كُلِّ قُلوبِنا كَما لَوْ كُنَّا نُقَدِّمُ هَذِهِ الخِدْمَةَ لَهُ هُوَ شَخْصِيًّا!

(مُقَدِّم الحَلْقَة)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَوْفَ يُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" دِراسَتَهُ وَتَأمُّلَهُ في إنْجيلِ يُوحَنَّا مُرَكِّزًا على مَا تَنَبَّأَ بِهِ الربُّ يَسوعُ أمامَ تَلاميذِهِ عَنِ الشَّخْصِ الذي سَيَخونُهُ. لِذَلِكَ، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَعْ كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

نُصَلِّي أنْ تَكونَ حَياتُنا جَميعًا مَفْتوحَةً لِعَمَلِ الرُّوحِ القُدُس، وَأنْ يَهْتَمَّ كُلٌّ مِنَّا بِحِفْظِ وَصايا الربِّ مِنْ خِلالِ مَحَبَّتِنا وَخِدْمَتِنا بَعْضُنا لِبَعْض. وَنَحْنُ نُصَلِّي لأجْلِكَ صَديقي المُسْتَمِع كَيْ يُبارِكَ الربُّ حَياتَكَ وَيُساعِدَكَ على تَطْبيقِ كَلامِهِ وَوَصاياه كُلَّ يَوْم. باسْمِ يَسوعَ المَسيح. آمين!